

لهذا تعدد المشايخ للطالب الواحد حتى ليبلغ عددهم أحيانا العشرات بل المئات، وعنى بعضهم بإخراج معجم لشيوخته، يترجم فيه لكل منهم، وينوه بمقدار علمه وفضله وما أفاد منه. وفى هذا ما فيه من معانى تقدير الطالب لأستاذه ووفائه له، وهويدلنا ضمنا على مبلغ ما كان بين الطالب وشيوخته من محبة وثقة وملازمة طوية، وكل هذا يصور لنا الجو التعليمى الذى كانوا يعيشون فيه.

وحرص الطالب كذلك على استجازة شيوخته فى الحديث وغيره، حتى فى علوم اللغة والأدب، فاجازوهم وكتب بعضهم إجازاتهم أدبى بديع طريف، فكانت هذه الاجازات بمثابة الشهادات الجامعية الحديثة. ولعلها تشبه أرقى أنواع هذه الشهادات. وامتد حرص الطلبة على الأخذ عن الشيوخ أخذا معنعا واصلاً بسنده إليهم حتى فى الخط. ومن الطريف ما ذكر شمس الدين السخاوى فى كتابه "الضوء الامع" فى ترجمة ابن الصائغ، فقد قال ما ملخصه: "إن ابن الصائغ تعلم الخط المنسوب من النور الوسيمى تلميذ غازى ولازمه حتى أتقن قلم النسخ وفاق عليه، وأحب طريقة ابن العفيف فسلكها وتعلمها من أبى على محمخ الزفتاوى المصرى ثم صارت له طريقه منزعة من طريقى غازى وابن العفيف، وابن الخط عن أبيه، عن الولى العجمي، عن شهدة الكاتبة، عن ابن أسد، عن علي بن البواب، وابن اسمساني، عن مشايخها عن ابن مقله..." وهذا التسلسل فى الأخذ، هو ما يسمونه بالخط المنسوب. ولم تمنح الاجازات جزافا واعتباطا، بل بعد طول اختبار للطالب ودقة معرفة به، وبمحصوله من العلم.

وكان أمر التدريس يوكل إلى حذاق المعلمين، ومهرة الشيوخ ممن ذاع فضلهم، واكتمل علمهم. ونذكر على سبيل المثال: تقى الدين بن دقيق العيد، فقد درس فى المدرسة الصلاحية والكاملية المعروفة بدار الحديث. وابن رزين،